

العنوان:	السياسة الشرعية عند الإمام ابن قيم الجوزية - رحمه الله -
المؤلف الرئيسي:	الرفاعي، جميلة عبدالقادر شعبان
مؤلفين آخرين:	الدريني، فتحية(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1999
موقع:	عمان
الصفحات:	1 - 274
رقم MD:	554205
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، 691-751 هـ، السياسة الشرعية ، الملوك و الحكام ، الفقه الإسلامي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/554205

فصل تمهيدى

ترجمة حياة ابن قيم الجوزية
- رحمه الله -

نسب ابن القيم - رحمه الله - (١) :

(١) ابن ناصر الدين: محمد بن أبي بكر ناصر الدين الدمشقي الشافعي ت (٨٤٢هـ)، الرد الوافر على من زعم من سمي ابن تيمية ((شيخ الإسلام)) كافر، مجلد واحد، الطبعة الثالثة، طبعة المكتب الإسلامي (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، ص ١٢٤-١٢٦ رقم الترجمة ٢٩، وسيشار إليه فيما بعد بابن ناصر الدين: الرد الوافر، أبو اليمن: بحر الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي (٨٦٠-٩٢٨هـ) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، وحقق الجزء الخامس حسن إسماعيل مروة، وحقق الجزء الرابع عبد القادر الأرناؤوط وإبراهيم صالح، الجزء الخامس، دار صادر، طبعة أولى ١٩٩٧م، ص ٩٢-٩٧، رقم الترجمة ١٣٠٣، وسيشار إليه فيما بعد بأبي اليمن: المنهج الأحمد، ابن رجب: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٣٦-٨٣٩هـ)، الذيل على طبقات الحنابلة، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، الجزء الأول، مطبعة السنة المحمدية، طبعه (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م)، ص ٤٤٧-٤٥٢، رقم الترجمة ٥٥١، وسيشار إليه فيما بعد بابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، عمر كحالة: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، الجزء التاسع، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ص ١٠٦-١٠٧، وسيشار إليه فيما بعد بكحالة: معجم المؤلفين أبو الطيب: أبو الطيب صديق بن حسن بن علي لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٢٤٨-١٣٠٧هـ - ١٨٣٢-١٨٩٠م)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول صححه وعلق عليه عبد الحكيم شرقي الدين، مجلد واحد، المطبعة الهندية العربية (١٩٦٣م)، الطبعة الثانية بالتعليقات (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)، ص ٤١٦-٤٢٠، رقم الترجمة ٤٦٥، وسيشار إليه فيما بعد بأبي الطيب: التاج المكلل، ابن العماد: شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحفي بن أحمد بن العكري الحنبلي الدمشقي (١٠٣٢-١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر وعمود الأرناؤوط، المجلد الثامن، مطبعة دار ابن كثير، طبعة أولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ص ٢٨٧-٢٩١، وسيشار إليه فيما بعد بابن العماد: شذرات الذهب كما أنني استخدمت طبعة دار المسيرة ببيروت طبعة ثانية (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ت (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملح، د. علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، علي عبد الساتر، المجلد السابع الجزء الرابع عشر، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص ٢٤٦-٢٤٩، وسيشار إليه فيما بعد بابن كثير، البداية والنهاية، الصفيدي: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفيدي، الوافي بالوفيات اعتنى بهذه الطبعة م. دبدرينغ، الجزء الثاني، مطبعة فرانز شتاير بفيسبادن، طبعة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، ص ٢٧٠-٢٧٢، رقم الترجمة ٦٩٢، وسيشار إليه فيما بعد بالصفيدي: الوافي بالوفيات، ابن الألويسي: السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الألويسي البغدادي، حلاء العينين في عاكمة الأحدين، طبع على نفقة ابن الشيخ عبد الله آل ثاني، مجلد واحد، مطبعة المدني، ص ٣٠-٣٢، وسيشار إليه فيما بعد بابن الألويسي، حلاء العينين، الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي ت (٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين، راجع النسخة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، ص ٩٣-٩٧، رقم الترجمة ٤٥٥، وسيشار إليه فيما بعد بالداودي: طبقات المفسرين، ابن مفلح: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح (٨٨٤هـ)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الجزء الثاني، مكتبة الرشد، طبعة أولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ص ٣٨٤-٣٨٥، رقم الترجمة (٩١٠)، وسيشار إليه فيما بعد بابن مفلح: المقصد الأرشد، ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأنابكي (٨١٣هـ - ٨٧٤م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء العاشر، مطبعة دار الكتب العلمية، طبعة أولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، ص ١٩٥، وسيشار إليه فيما بعد بابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، التميمي: عبد القادر بن محمد التميمي الدمشقي، المدارس في تاريخ المدارس، الجزء الثاني، نشر مكتبة الثقافة الدينية، طبعة ١٩٨٨م، ص ٩٠-٩١، وسيشار إليه فيما بعد بالتميمي: المدارس، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السبكي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الأول، دار الفكر، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ص ٦٢-٦٣، رقم الترجمة ١١١، وسيشار إليه فيما بعد بالسيوطي: بغية الوعاة.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ - ١٣٤٧م)، ذيل المعبر في خبر من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسوي زغلول، الجزء الرابع، طبعة دار الكتب العلمية، ص ١٥٥، وسيشار إليه فيما بعد بالذهبي: ذيل المعبر. البغدادي: إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، المجلد السادس، دار الفكر، طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٥٨-١٥٩، وسيشار إليه فيما بعد بالبغدادي: هدية العارفين.

الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمشتشرقين، الجزء السادس، دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م، ص ٥٦، وسيشار إليه فيما بعد بالزركلي: الأعلام، الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني ت

هو الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز^(١) الزُّرْعِي^(٢)، الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية^(٣).

(١٢٥٠هـ)، البدر الطالع، محاسن من بعد القرن السابع، وبله الملحق التابع للبدر الطالع للسيد محمد بن محمد بن يحيى زبارة اليمني، الجزء الثاني، طبعة دار المعرفة، ص ١٤٣-١٤٦، رقم الترجمة ٤٢٣، ويشير إليه فيما بعد بالشوكاني: البدر الطالع، عبد العظيم عبد السلام: عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف، مجلد واحد، مكتبة تحفة مصر، طبعة أولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م)، ويشير إليه فيما بعد بعد عبد العظيم عبد السلام: ابن قيم الجوزية. البقري: أحمد ماهر محمود البقري، ابن القيم من آثاره العلمية، مجلد واحد، طبعة سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، ويشير إليه فيما بعد بالبكري: ابن القيم. أبو زيد: بكر بن عبد الله أبو زيد، ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، مجلد واحد، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ويشير إليه فيما بعد بأبي زيد: ابن قيم الجوزية. ابن حجر: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ت (٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حققه محمد سيد حاد الحق، الجزء الرابع، طبعة دار الحديث، ص ٢١-٢٣، رقم الترجمة ٣٥٨٦، ويشير إليه فيما بعد بابن حجر: الدرر الكامنة. ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزُّرْعِي الدمشقي (٦٩١-٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شبيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، المجلد الأول، طبعة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية، الطبعة السابعة والعشرون (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، ص ١٥-٢٣، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، الروح، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، مجلد، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، ص ١١-١٥، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: الروح، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، الفوائد، مجلد، منشورات دار مكتبة الحياة، ص ٧-٨، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: الفوائد، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، خُرج أحاديثه عبد الرزاق المهدي، مجلد، طبعة دار الخير، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، ص ٨، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: روضة المحبين، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، علق عليه طه عبد الرؤوف سعد، المجلد الأول، طبعة دار الجليل، ص ٥-٧، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق عبد اللطيف آل محمد القواعير، مجلد، طبعة أولى (١٩٨٧م)، دار الفكر، ص ٥-٧، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: حادي الأرواح، ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ثلاث مجلدات، المجلد الأول، طبعة (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، ص ٥، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: مدارج السالكين.

(١) ذكر في هدية العارفين ابن حريز وليس حريز، البغدادي: هدية العارفين: ١٥٨/٦، وكذلك ذكر في الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ابن حريز، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة: ٤٤٧/١، ووجدت أن ابن حجر ترجم لوالد الإمام بحريز، وترجم للإمام بحريز ابن حجر: الدرر الكامنة ٤٧٢/١، ٢١/٤.

(٢) الزُّرْعِي: نسبة لزرع قرية من جوران تفلأ من كتاب السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الجزء الحادي عشر، طبعة سنة ١٣٥٥هـ، مكتبة القدسي، ص ٢٠٤، ويشير إليه فيما بعد بالسخاوي: الضوء اللامع. وقد ذكر صديق أبو الطيب في التاج الدرعي وليس الزرعي. صديق أبو الطيب: التاج المكلل: ٤١٦، وقيل الزُّرْعِي ابن مفلح: المقصد الأروشد: ٣٨٤/٢.

(٣) الجوزية: مدرسة بسوق القمح بالقرب من الجامع في سوق الزورية حوار قصر العظم وغريبه، وقد أنشأها يحيى الدين بن الجوزي أبو المحاسن يوسف بن الشيخ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد التيمي البكري الحنبلي البغدادي، وهو أستاذ دار المستعصم بالله، ولد سنة ثمانين وخمسائة، وقد توفي سنة ست وخمسين وستمائة وقد ضربت عنقه هو وأولاده، وقد فرغ من بناء المدرسة سنة ٦٥٢هـ - زمن الملك الصالح عماد الدين، ومن الذين درسوا بالمدرسة من العلماء الأجلاء ابن المنجا والجمال والماوردي وأمها ابن القيم وقد احترقت سنة ٨٢٠هـ، ثم أعيد عمارتها من قبل شمس الدين النابلسي، ثم حولت إلى محكمة سنة ١٣٢٧هـ، ثم أفلقت وأعيد فتحها على يد جمعية الإسماعيل الخيري وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال، واحترقت أول الثورة السورية وبقيت كذلك وجعلت حوانيت أقيم فوقها مسجد صغير. (ابن ناصر الدين: الرّد الوافر: ١٢٤ تعليق المحقق زهير الشاويش، التميمي: الدّارس في تاريخ المدارس: ٢٩/٢ كلام المحقق جعفر الحسني، ابن القيم: زاد المعاد: ١٥/١ تعليق المحقق الأرناؤوط).

وقد لقب بابن قيم الجوزية لأن أباه كان قيمياً عليها، لذا فهو عالم ابن عالم.

ذكر ابن حجر العسقلاني ترجمة والده^(١) أبو بكر بن أيوب سعد بن جرير الزرعي ثم الدمشقي، حدث وكان متعهداً قليل التكلف مات في ذي الحجة سنة ٧٢٣هـ.

مولده ووفاته - رحمه الله - (٢) :

ولد في السابع من صفر لسنة إحدى وتسعين وستمئة للهجرة أي ألف ومائتين واثنين وتسعين للميلاد، وكان مولده بقرية زرع من قرى حوران وهي تبعد عن دمشق خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرقها.

وتوفي وقت العشاء في الثالث عشر من شهر رجب سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أي ألف وثلاثمائة وخمسين للميلاد، وصُلِّي عليه الظهر يوم الخميس، ودفن بالبواب الصغير^(٣) بدمشق عند والدته^(٤)، وذكر ابن رجب وابن العماد^(٥) أنه صُلِّي عليه الظهر بالجامع الأموي بعد الظهر ثم صُلِّي عليه بجامع جراح.

يقول ابن كثير : « وقد كانت جنازته حافلة - رحمه الله - شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة - رحمه الله - »^(٦).

وعند رجوعي إلى معجم المؤلفين^(٧) وجدت أن المؤلف ذكر أن ابن القيم قد دفن في سفع قاسيون وما أرى إلا أنه قد وهم وألبس عليه لأن جميع من ترجم لابن القيم ذكر أنه دفن بالبواب الصغير

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة : ٤٧٢/١، رقم الترجمة ١١٧١.

(٢) التميمي : الذارس في تاريخ المدارس : ٩٠/٢، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ١٩٥/١٠، ابن مفلح : المقصد الأرشد : ٣٨٥/٢، الشوكاني : البدر الطالع : ٤٣/٢، ١٤٥، تعليق المحقق زهير الشاويش : ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤، البغدادي : هدية العارفين : ١٥٨/٦، الصفدي : الوافي بالوفيات : ٢٧٠/٢، ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٧/٨، أبو الطيب : التساج المكلل، ٤١٧، عمر كحالة : معجم المؤلفين : ١٠٦/٩، أبو اليمن : المنهج الأحمد : ٩٢/٥، ٩٥، ابن ناصر الدين : الرد الوافر : ١٢٤، ابن الأوسى : جلاء العينين : ٣٠، ٣٢، الداوودي : طبقات المفسرين : ٩٧، ٩٤/٢، الذهبي : ذيل العبر : ١٥٥/٤، السيوطي : بغية الوعاة : ٦٢/١، ٦٣، ابن حجر : الدرر الكامنة : ٢١/٤-٢٣، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٥٦ - ٦٠.

(٣) ذكر ابن ناصر الدين بأن قبره بمناه المدرسة الصابونية على يسار الداعل للمقبرة من الباب الذي وسع قبيل سنة ١٣٧٠، وقد أزيح القبر عن موضعه بما يقارب المترين إلى الشرق. ابن ناصر الدين : الرد الوافر : ١٢٥.

(٤) ذكر ابن ناصر الدين أنه دفن عند والده، ابن ناصر الدين : الرد الوافر : ١٢٥.

(٥) ابن رجب : الدليل على طبقات الخنابلة : ٤٥٠/١، ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٩١/٨.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤٧/١٤.

(٧) عمر كحالة : معجم المؤلفين : ١٠٧/٩.

بدمشق حيث دفنت والدته.

وقيل ^(١) أنه قد رثيت له منامات بعد موته كثيرة حسنة، وقيل أنه قد رأى قبل موته بمدة الشيخ : تقي الدين - رحمه الله - في النوم وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة.

وذكر ابن ناصر الدين قولاً للحافظ أبي بكر محمد بن المحب قال فيه : « قال شيخنا الحافظ أبو بكر محمد بن المحب ^(٢) فيما وجدته بخطه، قلت أمام شيخنا المزي : ابن القيم في درجة ابن خزيمة ^(٣) ؟ فقال : هو في هذا الزمان كابن خزيمة في زمانه ^(٤) » .

أقوال العلماء فيه - رحمه الله - :

* قال ابن كثير عن شيخه : « كان ملازماً للاشتغال ليلاً ونهاراً كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق كثير التودد لا يحسد ولا يحقد ^(٥) » .

وقال كذلك : « لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه، وكان يطيل الصلاة جداً ويمد ركوعها وسجودها ^(٦) » .

* قال ابن رجب : « كان عارفاً بالتفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطولى وبعلم الكلام، وغير ذلك، وعالمًا بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى ^(٧) » .

وقال كذلك : « وكان - رحمه الله - ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله * ،

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٥٠/١ - ٤٥١، ابن الألبوسي : حلاء العينين : ٣٢.

(٢) هو شمس الدين أبو بكر محمد بن المحب عبد الله بن أحمد بن المحب عبد الله الصالح المقدسي الحنبلي المعروف بالصامت لكثرة سكوته. (ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٠٩/٦).

(٣) ابن خزيمة هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي، وأهم كتبه الصحيح، توفي سنة (٣١١هـ)، ابن كثير : البداية والنهاية : ١٦٠/١١.

(٤) ابن ناصر الدين : الرد الوافر : ١٢٥.

(٥) الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٤/٢، ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٣.

(٦) الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٤/٢، ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٣.

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٧/٨، ابن رجب : الذيل على الطبقات : ٤٤٨/١.

* التأله : التأله والتعب (ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، طبعة دار صادر بيروت، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦ م، ٤٦٩، وسيشار إليه فيما بعد بابن منظور : لسان العرب).

ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والحديث والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله «^(١)» .

* ونقل عن القاضي برهان الدين الزُرعي أنه قال : « ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه »^(٢) .

* قال السخاوي^(٣) : « العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان ورئيس أصحاب ابن تيمية الإمام، بل هو حسنة من حسناته والجمع عليه بين المخالف والموافق، وصاحب التصانيف السائرة، والمحاسن الجمع، انتفع به الأئمة^(٤) » .

* قال الذهبي في المختصر : « عني بالحديث ومتونه، وبعض رجاله، وكان يشتغل في الفقه، ويجيد تقريره وتدريسه، وفي الأصلين وقد حبس مدة، لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل، وتصدى للاشتغال وإقراء العلم ونشره^(٥) » .

* قال ابن ناصر الدين الدمشقي : « وكان ذا فنون من العلوم، وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم^(٦) » .

محبة ابن القيم - رحمه الله -^(٧) :

كان ابن القيم - رحمه الله - متقيداً بالأدلة الصحيحة، صادعاً بالحق لا يجابي به أحداً، مما دفع غيره من الحاقدين عليه والسالكين خلف شهورهم إلى أن يؤذوه ليرجع عن آرائه وفتاويه التي لا تتفق مع

(١) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٨/٨، ابن رجب : الذيل على الطبقات : ٤٤٨/١ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٨/٨، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٩/١ . الداوودي : طبقات المفسرين : ٩٥/٢، التميمي : الدارس في تاريخ المدارس : ٩٠/٢ .

(٣) السخاوي هو محمد بن عبد الرحمن بن السخاوي (٨٣١هـ - ٩٠٢م)، أبو الطيب : التاج المكلل : ٤٤٠، رقم الترجمة ٤٨١ .

(٤) أبو الطيب : التاج المكلل : ٤١٩ .

(٥) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٨/١ .

(٦) ابن ناصر الدين : الرد الوافر : ١٢٤ .

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة : ٢١/٤ - ٢٣، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٥٩ - ٦٠، الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٣/٢ .

أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ٤٦ - ٤٣، ابن كثير : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ - ٢٤٧، ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٧/٨ -

٢٨٨، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٨/١، ابن الألويسي : حلاء العينين : ٣١، ابن القيم : مدارج السالكين : ٥/١، ابن

القيم : أعلام الموقعين (مقدمة المحقق) : ١/١ - ١/٢، ابن القيم : أحادي الأرواح (مقدمة المحقق) : ٦، ابن القيم : الروح (مقدمة المحقق) :

١٣، ابن القيم : زاد المعاد (مقدمة المحقق) : ١٦/١ - ٢٣، ابن القيم : الفوائد (مقدمة المحقق) : ٧، ابن القيم : روضة المحيين (مقدمة

المحقق) : ٨ .

مصلحهم الدنيوية الذاتية، ولذا فقد حبس مرات كثيرة، وفي المرة الأخيرة حبس بالقلعة منفرداً عن شيخه ابن تيمية.

من الفتاوى التي أصدرها ابن القيم حرمة شد الرحال لزيارة قبر الخليل، وذلك بناء على الحديث الصحيح : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى »^(١).

وكذلك فقد جرت له محنة مع القضاة إذ أفنى بجواز المسابقة على الخيل بدون مغلل^(٢)، وذكر ابن حجر أن ابن القيم قد تعرض بسبب هذه الفتوى إلى الإيذاء وقد طلبه السبكي وقد رجع عن فتواه في نهاية المال^(٣).

ومن الفتاوى التي أؤذي بسببها فتواه بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر طلاقاً واحدة.

وكان - رحمه الله - في حبسه مشتغلاً بذكر الله وتلاوة القرآن، وكان لحبسه فضل عليه إذ يقول في ذلك ابن رجب : « وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن والتدبر والتفكير، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأدواق والمواجيد * الصحيحة، وتسلبت بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه ممثلة بذلك^(٤) ».

(١) الإمام مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ - ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المجلد الثاني، دار الفكر بيروت، طبعة ثانية (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، ص ٩٧٦، كتاب الحج رقم الحديث (٤١٥)، ويشير إليه فيما بعد الإمام مسلم : صحيح مسلم.

(٢) يرى الجمهور أنه إذا سبق شخص آخر وبذل أحدهما الرهن كان السباق جائزاً، أما إذا بذل الرهان كل منهما فإنه لا يجوز الرهان إلا إذا أدخل بينهما محلاً وإلا كان قماراً لأن أحدهما سيأخذ والآخر سيعطي، فإذا سبقهما الثالث المحلل أخذوا ما دفعاه، وإن سبق الثالث (المحلل) مع أحدهما فإنهما يشتركان في المال أي مال الثاني الذي لم يفز، وإن سبق الاثنين المحلل فإن لهما ما أخرجاه ولم يفز المحلل شيئاً. ابن القيم رأى أنه يجوز المسابقة دون محل وسرد أدلة على ذلك (الزحيلي: وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، المجلد الخامس، دار الفكر، ط ٣ (١٤٠٩-١٩٨٩)، ص ٧٨٩، ويشير إليه فيما بعد بالزحيلي: الفقه الإسلامي).

(٣) ابن حجر: الدرر الكامنة : ٢٣/٤.

* المواجيد : من المجد أي المروءة والسخاء والكرم والشرف، ويقال رجل ماجد أي مفضال كثير الخير شريف، والمجد فعل منه للمبالغة. (ابن منظور : لسان العرب: ٣/٣٩٥)، وهنا قصد بالمواجيد من الوجد ويقصد بذلك ما يصادفه القلب من الأحوال الغيبية له عن شهود الوجود وجد أن الحق في الوجد (الجرجاني: علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، بيروت، طبعة ١٩٨٥، ص ٢٨٧، ويشير إليه فيما بعد بالجرجاني: التعريفات).

(٤) ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٨/١، ابن الألويسي : جلاء العينين : ٣١، ابن العباد : شذرات الذهب : ٢٨٨/٨.

شيوخه - رحمه الله - (١) :

برع ابن القيم في جميع العلوم، وفاق الأقران، واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف، وسبب ذلك أن له شيوخاً في مجالات العلوم المختلفة، فقد سمع على شهاب الدين النابلسي العابر^(٢)، وجماعة كبيرة منهم سليمان بن حمزة الحاكم^(٣)، وأبو بكر بن عبد الدائم^(٤)، وعيسى المطعم^(٥)، وأبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي^(٦)، وفاطمة بنت جوهر^(٧)، وإسماعيل بن مكتوم^(٨)، وعلاء الدين الكندي الوادعي^(٩)، ومحمد بن أبي الفتح البعلبي^(١٠)، وأيوب بن نعمة

(١) الشوكاني: البدر الطالع : ١٤٣/٢، الصفدي : الوالي بالوفيات : ٢٧١/٢، أبو الطيب : التاج المكلل : ٤١٦، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٧/١، ابن ناصر الدين : الزد الوافر : ١٢٤، الداودي : طبقات المفسرين : ٩٤، السيوطي : بقية الوعاة : ٦٣-٦٢/١، الثعبي : الدارس في تاريخ المدارس : ٩٠/٢، ابن مفلح : المقصد الأرشد : ٣٨٤/٢-٣٨٥، ابن القيم : مدارج السالكين، ٥/١، ابن القيم : أعلام الموقعين : ١ / (مقدمة المحقق) - و-، ابن القيم : حادي الأرواح (مقدمة المحقق) : ٦، ابن القيم : الروح (مقدمة المحقق) : ١٣، ابن القيم : زاد المعاد (مقدمة المحقق) : ١٦/١-٢٣، أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ٩٩-١٠٧، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٦١، البكري : ابن القيم : ٨١-٨٧.

(٢) الشهاب العابر أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي، ولد ليلة الثلاثاء في الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة بنابلس وتوفي سنة سبع وتسعين وستمائة. سمع ما من عمه تقي الدين يوسف ومن صاحب عمي الدين بن الجوزي. قال عنه الذهبي : ((إمام عالم لا يدرك شأوه في علم التعبير)) . ابن العماد : شذرات الذهب : ٤٣٧/٥، ط ٢.

(٣) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، تقي الدين أبو الفضل المقدسي الحنبلي الأصل، الدمشقي الصالح، ولد سنة ثمان وعشرين وتوفي سنة خمس عشرة وسبع مائة، تفقه بالشيخ شمس الدين بن أبي عمر، وصحبه مدة، ودرس بالجوزية، ولى الجوزية والقضاء عشرين سنة، وكان إذا أراد أن يحكم يقول : صلوا على رسول الله، فإذا صلوا حكم. (الصفدي : الوالي بالوفيات : ٣٧٠/١٥-٣٧٢، رقم الترجمة ٥١٧، ابن حجر : الدرر الكامنة : ٢٤١/٢-٢٤٣، رقم الترجمة ١٨٣٧، ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٥/٦-٣٦.

(٤) أبو بكر بن المنذر بن زين الدين أحمد بن عبد الدلم بن نعمة المقدسي الحنبلي، قال عنه الذهبي : ((كان مسند الوقت صالحاً سمعاً حضوراً في سنة سبع وعشرين وستمائة)) . سمع من ابن الزبيدي والناصح والاربطي والهملاني وطائفة، كان ذو همة وجلادة وذكر عبادته وقد أقر وثقل سمعه وتوفي في سنة ثلاث وتسعين سنة وأشهر في رمضان. ابن العماد : شذرات الذهب : ٤٨/٦، ط ٢.

(٥) شرف الدين عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد الصالح المطعم. ابن العماد : شذرات الذهب : ٥٢/٦، ط ٢.

(٦) الشيرازي : هو زين الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن تاج الدين أحمد بن القاضي أبي نصر بن الشيرازي الشافعي، توفي سنة ٧١٤، ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٣/٦، ط ٢. ذكر الأستاذ بكر أبو زيد في كتابه ابن قيم الجوزية أن العلماء اختلفوا في تحديد شخصية ابن الشيرازي، وذكر أن الأستاذ عبد الغني عبد الحائق قال هو : المنذر زين الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن تاج الدين أحمد بن القاضي أبي نصر بن الشيرازي المتسوق سنة ٧١٤هـ، كما أنه نقل أن الأستاذ عوض الله حجازي رأى أنه هو كمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي، تولى القضاء والتدريس بعدد من مدارس دمشق توفي سنة ٧٣٦هـ. ابن قيم الجوزية : ١٠١-١٠٢.

(٧) أم محمد فاطمة بنت الشيخ إبراهيم بن عمود بن جوهر البطارقي البعلبي والدة الشيخ إبراهيم بن القرشية وأخوته، روت الصحيح عن ابن الزبيدي، وكانت دينة متعبدة، توفيت في صفر عن ست وثمانين سنة. ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨/٦، ط ٢.

(٨) صدر الدين أبو الفدا إسماعيل بن يوسف بن مكتوم بن أحمد العيسى الدمشقي، وقد كان مقرئاً توفي سنة ثلاث وتسعين. ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٨/٦، ط ٢.

(٩) هو علاء الدين علي بن مظفر الكندي ويعرف بكتاب وداعة، كان أديباً بارعاً محدثاً توفي عن ست وسبعين سنة. (ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٩/٦).

(١٠) أبو الفتح البعلبي هو محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي الفقيه المحدث، النحوي اللغوي، شمس الدين أبو عبد الله، ولد سنة خمس وأربعين وستمائة، توفي بالقاهرة في ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبع مائة، وله تصانيف كثيرة منها شرح الألفية لابن مالك، كتاب المطلع على أبواب المنع وغير ذلك. ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٣٥٨-٣٥٦/٢.

الكحال^(١)، والقاضي بدر الدين بن جماعة^(٢)، شرف الدين بن تيمية^(٣) وابن مفلح^(٤) والمزري^(٥) ولا ننسى شيخه الذي تأثر به تقي الدين ابن تيمية^(٦).

العلوم التي برع بها^(٧)

وقد برع - رحمه الله - في علوم شتى فمن هذه العلوم:

١- العربية : من شيوخه في هذا المجال أبو الفتح البعلبي فقد قرأ العربية عليه، إذ قرأ الملخص لأبي البقاء ثم قرأ الجرجانية، ثم ألفية ابن مالك، وقرأ أكثر الكافية الشافية وبعض التسهيل.

٢- الفقه: من شيوخه في الفقه تقي الدين بن تيمية - رحمه الله -، إذ قد قرأ عليه قطعة من المحرر، وتأثر به تأثراً كثيراً وكان شيخاً لابن القيم في التفسير والأصول وعلم الكلام والفقه. ومن شيوخه الشيخ إسماعيل بن محمد الحارثي^(٨) إذ قرأ عليه مختصر أبي القاسم الخرقى، والمقنع

(١) زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكحال، مات في ذي الحجة عن أزيد من تسعين سنة وتوفي سنة ثلاثين وسبعمائة. ابن العماد : شذرات الذهب : ٩٣/٦، ط ٢.

(٢) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكنانى الحموي الشافعي، ولد في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبعمائة بمحماة. توفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفن قريباً من الشافعي وله أربع وتسعون سنة. ابن العماد : شذرات الذهب : ١٠٥/٦-١٠٦، ط ٢.

(٣) شرف الدين عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القسم الخضر بن محمد بن تيمية الحارثي ثم الدمشقي الحنبلي وهو أخو الشيخ تقي الدين ولد في حادي عشر محرم سنة ست وستين وسبعمائة بمران وقدم إلى دمشق رضيعاً. قال عنه الشيخ كمال الدين الزمكاني : " هو بارع في فنون عديدة من الفقه والنحو والأصول ملازم لأنواع الخير وتعلم العلم، وحسن العبارة قوي في دينه ملبس بالبحث صحيح الذهن قوي الفهم ". ابن العماد : شذرات الذهب : ٧٦/٦-٧٧، ط ٢.

(٤) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ثم الصالحى الرامى الحنبلي . قال عنه : أبو البقاء السبكي : " ما رأيت عينا أحداً أفقه منه ". توفي ليلة الخميس ثاني رجب سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وكان عمره بضع وخمسون سنة، ابن العماد : شذرات الذهب : ١٩٩/٦-٢٠٠، ط ٢.

(٥) جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن علي بن أبي الزهر الإمام العلامة المزري الشافعي ولد سنة أربع وخمسين وسبعمائة بحلب ونشأ بالمرّة، توفي سنة اثنين وأربعين وسبعمائة. ابن العماد : شذرات الذهب : ١٣٥/٦-١٣٧.

(٦) ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الخضر بن تيمية النسري ، الحارثي ، (الصفدي : السوافي بالوفيات : ١٥/٧-٣٣/ رقم الترجمة ٢٩٦٤).

(٧) الشوكاني: البذر الطالع : ١٤٣/٢، الصفدي : الوافي بالوفيات : ٢٧١/٢، أبو الطيب : التاج المكلل : ٤١٦، ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٧/١، ابن ناصر الدين : الرّد الوافر : ١٢٤، الداودي : طبقات المفسرين : ٩٤، السيوطي : بغية الرعاة : ٦٢/١-٦٣، التميمي : الدارس في تاريخ المدارس : ٩٠/٢، ابن مفلح : المقصد الأرشد : ٣٨٤/٢-٣٨٥، ابن القيم : مدارج السالكين، ٥/١، ابن القيم : أعلام الموقعين : ١ / (مقدمة المحقق) - و-، ابن القيم : حادي الأرواح (مقدمة المحقق) : ٦، ابن القيم : الروح (مقدمة المحقق) : ١٣، ابن القيم : زاد المعاد (مقدمة المحقق) : ١٦/١-٢٣، أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ٩٩-١٠٧، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٦١، البغوي : ابن القيم : ٨١-٨٧.

(٨) مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء الحارثي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي، ولد سنة خمس أو ست وأربعين وسبعمائة بمران، قدم دمشق مع أهله سنة إحدى وسبعين، وقد برع في الفقه وتصدى للفتوى، كما برع في الحديث وأصول الفقه والفرائض والجبر، وقال عنه الذهبي : "كان شيخ الحنابلة " توفي ليلة الأحد، ناسع جمادى الأولى بالمدرسة الجوزية ودفن بمقابر الباب الصغير، ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٨/٦، ط ٢.

لابن قدامة، ومن شيوخه أبي الفتح البعلبي، وشرف الدين بن تيمية.

٣- الفرائض: أخذ هذا العلم عن والده -رحمه الله-، وعن شيخه إسماعيل بن محمد الحراني وعن ابن تيمية.

٤- الأصول: شيخه في هذا ابن تيمية -رحمه الله- إذ قرأ عليه المحصل والمحصل والأربعين للرازي وكتاب الأحكام للآمدي والمحرر لجد ابن تيمية وغير ذلك من الكتب، وكذلك فعل إسماعيل بن محمد الحراني، ومن شيوخه الشيخ صفى الدين الهندي^(١) إذ قرأ عليه أكثر الأربعين والمحصل.

٥- الحديث: سمع الحديث من التقي سليمان، وأبي بكر بن عبد الدائم وأبي نصر بن الشيرازي، وعيسى المطعم، والشهاب النابلسي العابر وإسماعيل بن مكتوم.

٦- الطب: نلاحظ في كتبه أنه قد اهتم بهذا العلم، وألف في الطب النبوي، وقد رأيناه يقول في إباحة الحلق للمحرم الذي به أذى من رأسه ليستفرغ به الأنجرة المؤذية: «وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر هذا فقال: والله لو سافرت إلى المغرب في معرفة هذه الفائدة لكان قليلا». وغير ذلك من الكتابات التي تدل على اهتمامه في هذا الجانب، وعادة يربط كلامه في الطب بآيات قرآنية وأحاديث.

تأثر ابن القيم بشيخه ابن تيمية -رحمهما الله-:

عند الرجوع إلى مؤلفات ابن القيم نلاحظ أنه تأثر بأستاذه تأثرا كبيرا^(٢)، وهذا يعود لطول ملازمة ابن القيم لابن تيمية إذ قد خددها العلماء^(٣) بست عشرة سنة، إذ كانت هذه الملازمة منذ سنة ٧١٢هـ- إلى سنة ٧٢٨هـ، أي منذ عودة ابن تيمية من مصر إلى وفاته، وهذه الملازمة كان يغذيها المحبة من قبل التلميذ للأستاذ.

وقد ذكر ابن القيم أن الفضل يعود في هدايته إلى الله أولا، ثم إلى شيخه الذي أنار له درب الهداية فقد ذكر في نونيته:

(١) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد صفى الدين الهندي فقيه شافعي، ولد بالهند سنة أربع وأربعين، توفي في صفر سنة (٧١٥هـ)، (ابن حجر: الدرر الكامنة: ١٣٢/٤).

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤، أبو الطيب: الناج المكنل: ٤١٨، الزركلي: الأعلام (مقدمة المحقق): ٥٦/٦، الشوكاني: البدر الطالع: ١٤٣/٢، ١٤٥، أبو زيد: ابن قيم الجوزية: ٧٨-٨٤، ابن القيم: مدارج السالكين: ١/٥ (مقدمة المحقق)، ابن القيم: أعلام الموقعين: ١/١-١ (مقدمة المحقق)، ابن القيم: حادي الأرواح (مقدمة المحقق): ٦، ابن القيم: الروح (مقدمة المحقق): ١٣، ابن القيم: زاد المعاد (مقدمة المحقق): ١٦/٢٣، ابن القيم: روضة المحبين (مقدمة المحقق): ٨، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٢١/٤-٢٣، عبد العظيم عبد السلام: ابن قيم الجوزية: ٧٦-٨٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٤٦/١٤، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٢١/٤-٢٣.

فتى أتى من أرض حران فيا أهلاً بمن قد جاء من حران
فالله يجزيه الذي هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان
أخذت يده وسار فلم يرم * حتى أراي مطلع الإيمان

ومن خلال اطلاعتنا على كتبه نرى أنه يذكر كثيراً توجيهات شيخه إليه، فمثلاً نراه يقول في (مفتاح دار السعادة) ^(١) : « وقال لي شيخ الإسلام - رضي الله عنه - وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فينتشر بها فلا ينضج إلا بها ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفاته ويدفعها بصلابته وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقراً للشبهات أو كما قال » .

وكان من وفاء ابن القيم لابن تيمية أنه لم يتراجع عن فتاوى وأراء شيخه التي آمن بها، لأن منبعها الدليل الصحيح، ولهذا فقد أودى وحبس مع شيخه، وكما تذكر كتب التاريخ إن ابن القيم قد أهين وضرب وطيف به على جمل مضروباً بالذرة، ولم يفرج عن ابن القيم إلا بعد وفاة أستاذه.

وكان أيضاً من وفائه لشيخه أن سجل في كتبه مواقف لشيخه وفتاوى له وتحدث عن بعض أحواله واختياراته، وهو الذي نشر علم شيخه.

ومع كل ذلك التأثر إلا أن ابن القيم لم يكن نسخة عن أستاذه بحيث ذابت شخصيته في شخصية أستاذه، بل كان يستقري الدليل وينظر في المسألة ويفتي بقناعته، لذا فنحن نراه يدور مع الدليل الصحيح ويضرب بعرض الحائط كل ما يخالفه.

قال الزركلي: « تلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق » ^(٢) .

تلاميذه ^(٣) :

لقد أخذ العلم عن الإمام خلق كثير، كما ذكرت كتب التراجم، فيقول ابن العماد : « وأخذ

* يرم من الرم وهي البراح ما يرم ما يترج، وهذه الكلمة أكثر ما تستخدم في النفي، (ابن منظور : لسان العرب : ٢٥٩/١٣).
(١) ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، منشور ولاية العلم والإرادة، صححه وعلق عليه محمود حسن ربيع، مجلد، مكتبة الأزهر، الطبعة الثانية (١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م)، ص ١٥٣، ويشير إليه فيما بعد بابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة.

(٢) الزركلي: الأعلام : ٥٦/٦، ابن حجر: الدرر الكامنة : ٢١/٤.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب : ٢٨٨/٨، أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ١٠٧-١١٠، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٦١-٦٢.

عنه العلم خلق كثير، من حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له، كابن عبد الهادي وغيره»^(١).

ومن تلامذة الإمام :

١- ابن رجب : هو الحافظ زين الدين وجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام أبي أحمد رجب عبد الرحمن عبد الرحمن البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب، وتوفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة^(٢).

وذكر ابن العماد إن ابن حجر قال عنه : « أتقن الفن وقصد فن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتبع الطرق»^(٣).

٢- شرف الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ولد سنة ثلاث وعشرون مات في سنة ٧٥٦، وذكر ابن حجر أن ابن رجب قال عنه : « كان أعجوبة زمانه »^(٤).

٣- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي. قال التاج السبكي في طبقاته الكبرى : « شيخنا وأستاذنا محدث العصر، اشتمل عصرنا على أربعة من الحفاظ وبينهم عموم وخصوص المزي والبزالي والذهبي والشيخ الوالد لا خامس لهم في عصرهم »^(٥).

٤- الفيروز آبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد بن محمود بن إدريس بن فضل الله بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الحمد أبو طاهر، الفيروز آبادي وهو الشافعي اللغوي، وقد حفظ القرآن ابن سبع ، وقد قرأ القراءات العشر، وسمع كثير من العلماء وله مصنفات كثيرة في التفسير له بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس، وغير ذلك من المؤلفات في اللغة والأحاديث^(٦).

(١) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٨/٨.

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٣٩/٦-٣٤٠، ط ٢.

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب : ٣٣٩/٦-٣٤٠، ط ٢.

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة : ٣٩٦/٢.

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب : ١٥٣/٦-١٥٧، ط ٢، السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧هـ - ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، الجزء التاسع طبع بمطبعة

عيسى البابي الحلبي، طبعة أولى، ص ١٠٠، رقم الترجمة ١٣٠٦، ويشير إليه فيما بعد بالسبكي : طبقات الشافعية الكبرى.

(٦) الشوكاني : البدر الطالع : ٢٨٠/٢-٢٨٤.

٥- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محيي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور الجعفري النابلسي الحنبلي.

ولد بنابلس سنة سبع وعشرين تقريباً.

ولقب بالجنة لكثرة ما عنده من العلوم.

وقد صاحب ابن قيم الجوزية فقرأ عليه أكثر تصانيفه، وكان خطه حسناً جداً^(١).

٦- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الأصل ثم الصالحى الفقيه الحنبلي المقرئ.

ولد في رجب سنة أربع وسبعمئة، وقد لازم ابن تيمية واعتنى بالرجال والعلل وتصدى للإفادة والاشتغال في الحديث والقراءات والفقه والنحو.

دفن بسفح قاسيون، وقد توفي سنة أربع وأربعين وسبعمئة^(٢).

٧- شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الخضري الزبيدي العيزري الغزي الشافعي ولد في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمئة وتوفي سنة ثمان ومائتين^(٣).

٨- بوهان الدين إبراهيم بن العلامة شمس الدين بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية الحنبلي توفي سنة سبع وستين وسبعمئة وبلغ من العمر ثمانياً وأربعين. قال الذهبي عنه: «تفقه بأيه وشارك في العربية وسمع وقرأ وتنبه»^(٤) درس بالصدرية والتدمرية.

٩- عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي ولد سنة سبعمئة، وقد صاهر المزني وصاحب ابن تيمية.

قال فيه ابن حجي: «احفظ من أدر كناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بمرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها».

توفي في شعبان عند شيخه ابن تيمية سنة أربع وسبعين وسبعمئة^(٥).

١٠- المقرئ: محمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني الشهير بالمقرئ، تولى القضاء بفاس، وتوفي

بها أثر قدومه من بلاد الأندلس عام (٧٥٩) ونقل إلى مسقط رأسه تلمسان^(٦).

(١) ابن العماد: شذرات الذهب: ٣٤٩/٦، ط ٢.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب: ١٤١/٦، ط ٢.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب: ٧٩/٧، ط ٢.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٠٨/٦، ط ٢.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٣٠/٦، ٢٣٢، ابن حجر: الدرر الكامنة: ٣٩٩/١-٤٠٠، رقم الترجمة ٩٤٤.

(٦) مقرئ: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، المجلد الخامس، دار صادر بيروت، طبعة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ص ٢٧٩-٢٨٠، وسيشار إليه فيما بعد بالمقرئ: نفع الطيب.

١١- السبكي علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن توفي سنة (٧٥٦هـ).

أعماله (١):

لقد حج - رحمه الله - مرات كثيرة، وجاور بمكة، وقد كان له سمعة طيبة عند أهل مكة، فقد كانوا يذكرون من أموره العجب، كشدة عبادته وكثرة طوافه.

ولقد درس - رحمه الله - بالصُّدرية (٢) وغيرها من الأماكن، وأمّ بالجوزية مدة طويلة، وتصدى للفتوى وقام بالتأليف، إذ قد كتب بحظه مؤلفات كثيرة، وقام بتصنيف كتب كثيرة جداً، وكان لشدة محبته للعلم والكتب أنه اقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره.

وكان - رحمه الله - يهدف من خلال تدريسه وفتاويه ومناظراته ومؤلفاته إلى رجوع المسلمين إلى النبع الصافي من القرآن والسنة، لأن المسلمين كانوا في حالة ضعف نتيجة للخلافات العقائدية والسياسية، لذا فقد دعا ابن تيمية وابن القيم إلى الرجوع إلى النبع الصافي، ونبذ التقليد والتبعية والجمود الفكري، وشجع ابن القيم - رحمه الله - على حرية الفكر والاجتهاد.

وكذلك فقد حارب ابن قيم التلاعب بأحكام الدين باسم الحيل وأورد أدلة تدل على أن الحيل المخالفة للشرع باطلة.

مؤلفات ابن القيم - رحمه الله - (٣):

ذكر الأستاذ بكر أبو زيد في كتابه (٤) ابن قيم الجوزية، أنه حدث غلط ووهم بنقل وذكر أسماء مؤلفات ابن القيم ويعيد هذا الوهم إلى الأمور التالية :

١- إن ابن القيم - رحمه الله - قد يسمي الكتاب، ثم يشير إليه في بعض مؤلفاته بموضوعه لا باسمه

(١) ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٨/٨-٢٨٩، أبو الطيب : التاج المكلل : ٤١٨، الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٣/٢، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٨/١، الداودي : طبقات المفسرين : ٩٥/٢، الثعبي : التآريخ في تاريخ المدارس : ٩٠/٢، ابن حجر : الدرر الكامنة : ٢١/٤، أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ٣٨-٤٤، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ٨٧-١٥٠.

(٢) هي مدرسة من مدارس الحنابلة أنشأها أسعد بن عثمان بن أسعد بن المشا التنوخي ثم الدمشقي وكانت بمكان يقال له درب الرميحان وقد كانت عملاً للوقف ثم جعلت مدرسة وقد درس فيها ابن القيم .

(٣) الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٤/٢، البغدادي : هدية العارفين : ١٥٨/٦-١٥٩، ابن العماد : شذرات الذهب : ٢٨٩/٨-٢٩٠، الصفدي : الوالي بالوفيات : ٢٧١/٢-٢٧٢، أبو الطيب : التاج المكلل : ٤١٧، ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة : ٤٤٩/١-٤٥٠، أبو اليمن : المنهج الأحمد : ٩٤/٥-٩٥، ابن الألويسي : حلاء العينين : ٣١-٣٢.

(٤) أبو زيد : ابن قيم الجوزية : ١١١-١١٢.

فيتوهم أن هذين كتابان وهما كتاب واحد مثل كتابه (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنعام)، وقد أشار إلى هذا الكتاب بكتابه بدائع الفوائد باسم كتاب تعظيم شأن الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - .

٢- أن يكون اسم الكتاب مكوناً من مركبين إضافيين متعاطفين، فيغلط الناقل ويعتبر كل مركب إضافي في اسم مستقل مثل كتاب (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) قد يتوهم البعض ويعتبرها كتابين.

٣- قد لا يسمى ابن القيم كتابه، فيطبع هذا الكتاب باسم موضوعه، وقد يعاد باسم آخر مثال ذلك : كتاب (الداء والدواء) قد طبع باسم آخر وهو (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي).

٤- إن بعض أهل العلم قد يختار موضوعاً قيماً من كتب ابن القيم ويطبعه برسالة ويضع لها عنواناً، فيظن البعض أنها كتاب لابن القيم مثال ذلك : (بلوغ السؤل من أقضية الرسول - صلى الله عليه وسلم -).

فهذه الرسالة مأخوذة من كتابه أعلام الموقعين عن رب العالمين.

٥- الهدف المادي للناشرين فقد يقومون بتغيير اسم كتاب من كتبه ليظن أنه كتاب جديد فيعتمد الناس لشرائه.

مثل كتاب (الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان) فقد أعيد طبعه باسم (كنوز العرفان في أسرار وبلاغة القرآن).

٦- أن ينسب كتاب ما إلى ابن القيم، وهو ليس من تأليفه، وهذه النسبة قد تكون بهدف استغلال شهرة ابن القيم وذلك لترويج الكتاب، وقد تكون النسبة هذه بهدف التقليل من مكانة ابن القيم بين العلماء، وقد تكون خلطاً بينه وبين ابن الجوزي، كما في كتاب (دفع شبه التشبيه) فهو لابن الجوزي وليس لابن قيم الجوزية.

أما بالنسبة إلى عدد مؤلفات ابن القيم فقد اختلف فيها فقد نرى أن بعض المترجمين ذكر عدداً كبيراً من كتب ابن القيم والبعض الآخر لم يذكر إلا عدداً قليلاً، ومن المترجمين من سَمَّى كتب ابن القيم والبعض ذكر العدد.

وقد رجح أبو زيد في كتابه ابن القيم أن عدد مؤلفات ابن القيم - بعد التبع والاستقراء لها - يصل إلى ستة وتسعين كتاباً.

سأقوم بذكر بعض كتب ابن القيم، ولمن أراد الاستزادة في ذلك عليه أن يرجع إلى المراجع التي ذكرتها في بداية الرسالة عن ترجمة حياة المؤلف.

١. زاد المعاد في هدي خير العباد.
٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين.
٣. إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان.
٤. بدائع الفوائد.
٥. الفوائد.
٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.
٧. طريق المحترمين وباب السعادتين.
٨. الروح.
٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
١٠. تحفة المودود في أحكام المولود.
١١. الوابل الصيب من الكلم الطيب.
١٢. روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
١٣. عدة الصابرين.
١٤. هداية الخيارى.
١٥. التبيان في أقسام القرآن.
١٦. الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي.
١٧. مدارج السالكين.
١٨. مفتاح دار السعادة.
١٩. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
٢٠. التحفة المكية.
٢١. أمثال القرآن.
٢٢. شرح الأسماء الحسنى.
٢٣. المسائل الطرابلسية.
٢٤. الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.
٢٥. كتاب الفروسية.
٢٦. كشف الغطاء عن حكم سماع الأغاني.

٢٧. طب القلوب.
٢٨. كتاب أخبار النساء. (قيل إن هذا الكتاب منسوب لابن القيم، أبو زيد : ابن قيم الجوزية : (١٢١).
٢٩. كتاب دفع شبه التشبيه بأكف التزيه (قيل إنه منسوب لابن القيم أبو زيد : ابن قيم الجوزية : (١٤).
٣٠. الفرق بين الخلعة والمحبة، ومناظرة الخليل لقومه.
٣١. الكلم الطيب والعمل الصالح.
٣٢. الفتح القدسي.
٣٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
٣٤. أحكام أهل الذمة.
٣٥. شرح الشروط العمرية.
٣٦. الصواعق المرسلة إلى الجهمية والمعتلة.
٣٧. تفسير المعوذتين.
٣٨. تهذيب سنن أبي داود وحل مشكلاته.
٣٩. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية.
٤٠. الطب النبوي .
٤١. نور المؤمن وحياته.
٤٢. عقد محكم الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء.
٤٣. شرح أسماء الكتاب العزيز.
٤٤. زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء.
٤٥. حلي الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام.
٤٦. بيان الدليل على استغناء السابقة عن التحليل.
٤٧. نقد المنقول، والمحك المميز بين الردود والمقبول.
٤٨. كتاب الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، وهو قصيدة نونية في السنة، ومكونة من ستة آلاف بيت إلا خمسين بيتاً.
٤٩. رفع اليدين في الصلاة.
٥٠. نكاح المحرم.
٥١. تفضيل مكة على المدينة.

٥٢. فضل العلم.

٥٣. الكبائر.

٥٤. حكم تارك الصلاة.

٥٥. التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير.

٥٦. بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً.

٥٧. حكم إغماء هلال رمضان.

منهجه - رحمه الله - :

كان - رحمه الله - عندما ينظر في المسائل يقوم بعرضها على ميزان ثابت لا يتغير ولا يتبدل وهو كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فإذا رأى رأياً في ذلك أفقى وهذا الإفتاء يدور مع الدليل الصحيح، إذ لا يخرج عنه عن هوى أو تقليد^(١).

يقول الشوكاني : «وله من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة، وحسن السياق مالا يقدر عليه غالب المصنفين، بحيث تعشق الأفهام كلامه وتميل إليه الأذهان وتحب القلوب، وليس له على غير الدليل معول في الغالب، وقد يميل نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحاميل الباردة كما يفعله غيره من المتهذبين بل لا بد له من مستند في ذلك، وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال وعدم التعويل على القيل والقال »^(٢).

وكان - رحمه الله - يشجع على الاجتهاد ويتعد عن التقليد، ولهذا فهو يأخذ أولاً بالقرآن والسنة ثم الإجماع ثم فتوى الصحابة ثم القياس، واستصحاب الأصل والمصالح المرسلات وسد الذرائع والعرف.

ولهذا فقد رأيناه يأخذ بشهادة الواحد الصادق، ويأخذ بمبدأ حرية التعاقد وغير ذلك من المسائل التي تدل على أنه كان مجتهداً لا مقلداً، فهو يرى حرمة التقليد في مواطن منها تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله، ومنها تقليد الآباء والأجداد وترك ما أنزل الله، وفيها التقليد لأمر قامت الحجة على خلافه.

وقد لخص الأستاذ عبد العظيم عبد السلام منهج ابن القيم وطريقته في التشريع، ورأى أنه يقوم بعرض النصوص ثم الاستنباط منها، ويكثر من هذه الأدلة النقلية والعقلية، ثم يعرض آراء الفقهاء في

(١) الشوكاني: البدر الطالع : ١٤٥/٢، عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ١٥٢-١٧٤، الجميلي: مقدمة المحقق لكتاب السوحي :

١١-١٣، طه عبد الرؤوف سعد: مقدمة المعلق لكتاب إعلام الموقعين : ١/ح-ط، الأرناؤوط: مقدمة المحقق لكتاب زاد المعاد : ١٨/١.

(٢) الشوكاني : البدر الطالع : ١٤٥/٢.

المسألة، ويختار من بينها، ثم يورد أدلته وأدلة المخالفين مع تفنيدها، وهو في ذلك يستند إلى الآيات والأحاديث دون تعصب لرأيه^(١).

وكذلك نجد أن ابن القيم يتطرق إلى مسائل تمس حياة الناس ويناقشها وإن تترتب على ذلك وقوعه في الأذى، كما في مسألة طلاق الثلاث بلفظ واحد^(٢)، والتسجير^(٣) وغير ذلك من المسائل التي تظهر شخصيته قوته، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم.

وكان رحمه الله شديد التأثير بشيخه ابن تيمية، ولكنه مع كل ذلك كان يرجح ما يراه مناسباً وفق الأصول التي ينتهجها.

أما منهجه في التفسير، فيتمثل بإبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة للسورة القرآنية، التي تربط أركان السورة لتخدم الهدف الأساسي الذي نزلت منه السورة، ويعتبر ابن القيم في هذا المجال مبتكراً لا متبعاً يقول في سورة الفاتحة: "اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء..."^(٤)

الحياة السياسية والاجتماعية زمن ابن القيم - رحمه الله - :

بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - اتسعت رقعة البلاد الإسلامية، ونتيجة لهذا الاتساع دخلت أعداد لا بأس بها في الدين الإسلامي، وهذا الدخول قد يكون لنية خالصة، وقد يكون من أجل الكيد للإسلام وتوهينه من الداخل.

أما في عصر الإمام ابن القيم - رحمه الله - الواقعة بين القرن السادس والسابع، في هذا الوقت كانت دمشق بلد الإمام تزدهر بالمساجد التي تبث العلم وتبث شعاع المعرفة والهداية، ومع ذلك فقد كان هذا العصر مليئاً بالخلاف العقدي والمذهبي، وكان عصر انحلال للمسلمين وضعف، إذ جرى الحكام وراء شهواتهم، ولحقت بهم شعوبهم، إذ الشعوب على دين حكامها، وهنالك سنة الله - تعالى - وهي أنه إذا دب الفساد في بلد فإن الله يسلط عليها جنوده فينتشر فيهم المرض، أو يزلزلهم الأرض، أو يرسل عليهم حشرات كالجراد أو يسلط عليهم عدوهم، ونرى أنه قد حدث سنة (٦٩٥هـ) غلاء

(١) عبد العظيم عبد السلام : ابن قيم الجوزية : ١٥٣، السنباطي : محمد أحمد السنباطي : منهج ابن القيم في التفسير، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م)، ص ٦٥ - ٧٠ ويشير إليه فيما بعد بالسنباطي : منهج ابن القيم.

(٢) ابن القيم : إعلام الموقعين : ٣/ ٣٠ - ٥٠.

(٣) ابن الطرق الحكيمة : ١٨٩.

(٤) ابن القيم : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أيوب بن قيم الجوزية، التفسير القيم، جمعه محمد الدودي وحققه محمد الفقي وقدم له إبراهيم رمضان، دار الرائد العربي، طبعة أولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٧، ويشير إليه فيما بعد بابن القيم : التفسير القيم.

عم في بلاد الشام ومصر ومكة والمدينة، واشتد البلاء على الناس حتى أنهم تساقطوا في الطرقات^(١).

وكذلك حدث سنة (٧٠١هـ) زلزلة عظيمة أدت إلى تشقق جبل المقطم وأثرت الزلزلة على غالب البلاد الشامية كالكرك ودمشق والشوبك وصفد.

ولا ننسى أيضاً مصير المسلمين الذين دب بينهم الفساد وبين حكامهم الذين أصبحوا يتقاتلون على الحكم والسلطنة، فمثلاً كان عدد الحكام في الفترة التي عاشها ابن القيم حوالي أربعة عشر سلطاناً، وكانت إذ ذاك القاهرة عاصمة لمصر والشام وهي مقر السلطة.

وهذا الضعف والفساد دفع التتار لغزو البلاد الإسلامية، فقد وصلوا في غزوهم إلى غزة، فقد سقطت بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد هولاءكو بن تولي بن جنكيز خان، وقد ساعده في ذلك الوزير ابن العلقمي الرافضي وأشار عليه بقتل الخليفة المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين، وقد قتل من المسلمين في العراق ألف ألف وثمانمائة ألف من أهل العلم، وقد قام التتار بفتح مدارس للملاحدة والفلاسفة^(٢).

وكذلك حدث في دمشق إذ قتل التتار القضاء والفقهاء والعلماء على يد الوزير التتاري نصير الطوسي وقد استبقى الفلاسفة والسحرة والمنجمين، وقد هزم التتار شر هزيمة في معركة عين جالوت بقيادة السلطان قطز سلطان مصر.

أما بالنسبة للحالة الاجتماعية فقد تفشى الفساد الخلقي في البلاد الإسلامية، فانتشر البغاء والغناء الماخن والخمر، وانتشر نوع من المخدرات يطلق عليه اسم الحشيشة، وقد كان لهذا الصنف خطر عظيم على الحياة الاجتماعية والسياسية، إذ قد مالا هؤلاء التتار وجعلوهم عيوناً على المسلمين.

وترتب على هذا الفساد أن كثرت البطالة، وساءت حال الناس الدينية، وأصبحوا يقصدون المقامات ويحجون إليها، وينون مساجد على القبور، وانتشرت مذاهب هدامة كالجهمية التي تنسب لجهنم بن صفوان الترمذي الذي قتل سنة (١٢٨هـ)، وترى هذه الفرقة أن الله - سبحانه وتعالى - لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وكذلك فرقة القدرية إذ يرون أن الإنسان له قدره على أعماله فهم ينكرون قدرة الله ومشيئته للكائنات، وينكرون الأسماء الحسنى والصفات^(٣).

والبيئة لها تأثير كبير في النفس الإنسانية، خاصة نفوس العلماء والشعراء، فالأحداث والمصائب

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٤/١٩٨، ٢٠٨-٢١٥، البكري: ابن القيم: ١٣-٥٦، عبد العظيم عبد السلام: ابن قيم الجوزية: ١٢-٣٢، ٥٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٤/١٩٨، ٢٠٨-٢١٥، البكري: ابن القيم: ١٣-٥٦، عبد العظيم: ابن قيم الجوزية: ١٢-٣٢، ٥٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: ١٤/١٩٨، ٢٠٨-٢١٥، البكري: ابن القيم: ١٣-٥٦، عبد العظيم: ابن قيم الجوزية: ١٢-٣٢، ٥٥.

تؤثر في انفعالاتهم واتجاهاتهم وأفكارهم، وعصر ابن القيم كما رأينا كان مليئاً بالمصائب التي ابتليت بها الأمة الإسلامية فمن المشرق غزى التتار بلاد الشام، ومن المغرب تدافعت موجات الصليبية، ومن الداخل خلافات الحكام فيها بينهم، وكذلك احتدمت الخلافات المذهبية بين أهل السنة والشيعة، وقد تأثر ابن القيم بهذه الأوضاع، حتى أننا رأيناه ألف كتاباً في ذلك ككتاب الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وهداية الخيارى في الرد على اليهود والأنصار^(١).

(١) السنباطي: منهج ابن القيم: ٢٧-٣٥.